وعندما حدث النزاع بين بسمارك والاغلبية الليبرالية في البرلمان ، اعلن تأجيل جلسات البرلمان ، ولم يكن في وسع القيادات الليبرالية ان تفعل شيئا · فقد كان الطريق الوحيد امامها هو اعلان الثورة ، ولكن البورجوازية الالمانية كانت قد بدأت تخشى الانتماء للجماهير ، وظهر بوضوح انها على استعداد للتعامل مع اي نوع من الحكم ، حتى لا تنتقل قيادة الصراع الى الشعب نفسه (٩) · وكان لانتصار بسمارك الساحق على النمسا سنة ١٨٦٦ اثر بعيد على الليبرالية الالمانية ، حتى ليعد بعض المؤرخين هذا الانتصار ، انتصارا على القوى الليبرالية البروسية ذاتها قبل كل شيء ، فقد تحول قسم كبير منها الى مساندة النزعة القومية الرجعية بقيادة بسمارك واصبحوا ابواقا له ·

والواقع ان الطريقة التي وصل بها بسمارك الى الحكم ، وعالج بها ازمة البورجوازية ، تحمل دلالات ابعد من المانيا بكثير ، لتشمل القارة في حقيقة الامر · واذا كان سنده في سياسته ، المفاهيم الرومنسية الرجعية التي تقدس الدولة وتجعل منها الهدف النهائي والتي كانت تلاقي رواجا بين صفوف البورجوازية الالمانية في تلك الفترة ، الا ان سياسته في الحقيقة تحمل دلالات ابعد من المانيا وتؤذن بالتحول الكبير الذي طرأ على مواقع البورجوازية الاوروبية وموقفها من الثورة ، كما يؤذن بالتحول الذي طرأ على مفهوم ومضمون القومية في تلك المرحلة · فقد انتكست وتحولت الى القومية الرجعية والشوفينية التوسعية والتي تقودها ارستقراطية المال الامبريالية بالتحالف مع طبقات النبالة القديمة ، حدث التحول في المحتوى والمضمون الذي تحمله هذه القومية ، فبعد مرحلة الصعود في القرن الثامن عشر والذي كانت تتصدى لقياداتها بورجوازية ليبرالية ديمقراطية وثورية ، إستولى على القيادة امام صعود الحركة الجماهيرية والبروليتارية ، ارستقراطية مالية معادية للديمقراطية ، ولتقودها في طريق تحقيق مصالحها الجديدة ، مصالح التوسع والعدوان والصراعات القومية ، وسياسات الالحاق والضم ، واخيرا الامبريالية والتوسع الامبريالي · وكان بسمارك نموذجا لهذا التحول والحركة الرجعية النشطة التي تصدت بنجاح لموجة الثورة المتعاظمة ، لتكبح جماحها بالتدريج وتركب موجة القومية بالتحديد ، لتلبسها مثلها واهدافها الشوفينية الرجعية ، وتجردها من كل محتوى ومضمون ديموقراطي · دفنت قومية العقل والانسانية والتقدم والتآخي البشري ، لتنبت على قبورها الشوك والحسك : التعصب الاعمى ، والتمييز العرقي والعنصري والعدوان ·

قومية الطبقات السلفية الرجعية والمنتكسة ، وقد رفعت علم الرجعية الاسود الهمجي «الحديد والدم» ·